الفـــــارس والبلبل

يُحْكَى أَنَّهُ فِى حَرْبٍ مِنَ الْحُرُوبِ الْقَدِيمَةِ وَقَعَ فَارِسٌ أَسِيراً فِى يَدِ أَعْدَائِهِ، وَقُذِفَ بِهِ فِى السِّجْنِ مُكَبَّلَ الرِّجْلَيْنِ بِسَلاَسِلَ مِنَ الْحَدِيدِ. وَكَانَ يَأْتِى إِلَى حُجْرَتِهِ فِى السِّجْنِ بُلْبُلٌ يَقِفُ عَلَى قُضْبَانِ النَّافِذَةِ الْحَدِيدِيَّةِ، وَيُغَرِّدُ. وَكَانَ الْفَارِسُ يُقَدِّمُ لَهُ شَيْئاً مِنْ طَعَامِهِ الْحَقِيرِ وَيُحَدِّثُهُ كَمَا يُحَدِّثُ إِنْسَاناً مِثْلَهُ. وَذَاتَ يَوْمٍ تَنَهَّدَ الْفَارِسُ، وَقَالَ: «أَيُّهَا الطَّائِرُ الْبَدِيعُ، لَقَدْ آنَسْتَنِى فِى وَحْشَتِى، وَمَلأْتَ قَلْبِى سُرُوراً بِشَدْوِكَ وَغِنَائِكَ الْجَمِيلِ. فَمَنْ يَدْرِى؟ فَرُبَّمَا تَكُونُ سَبَباً فِى خَلاَصِى.»

وَفِى الْحَالِ طَارَ الْبُلْبُلُ، وَلَمْ يَعُدْ كَعَادَتِهِ، وَظَنَّ الْفَارِسُ أَنَّ صَقْراً قَدِ افْتَرَسَ صَدِيقَهُ الْمُغَرِّدَ. فَحَزِنَ عَلَى فِرَاقِهِ حُزْناً شَدِيداً. وَلَكِنَّ الْبُلْبُلَ عَادَ فِى مَسَاءِ الْيَوْمِ الثَّالِثِ لِغِيَابِهِ، يَحْمِلُ فِى مِنْقَارِهِ قِطْعَةً مِنَ الْحَجَرِ، وَقَذَفَ بِهَا عَلَى سَلاَسِلِ السِّجْنِ، فَانْفَكَّتْ فِى الْحَالِ. وَأَيْقَنَ الْفَارِسُ أَنَّ اللهَ أَرَادَ خَلاَصَهُ عَلَى يَدِ الطَّائِرِ الصَّغِيرِ وَأَخَذَ قِطْعَةَ الْحَجَرِ، وَلَمَسَ بِهَا قُفْلَ بَابِ السِّجْنِ، فَانْفَتَحَ. وَأَسْرَعَ إِلَى الْخَلاَءِ، وَتَمَكَّنَ مِنَ الْهَرَبِ وَالْعَوْدَةِ إِلَى بِلاَدِهِ.

وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنَّ الْبُلْبُلَ تَبِعَهُ إِلَى قَصْرِهِ. وَهُنَاكَ أَقَامَ الْفَارِسُ لَهُ فِى حَدِيقَةِ الْقَصْرِ قَفَصاً مِنَ الذَّهَبِ الْخَالِصِ مِنْ غَيْرِ بَابٍ يَأْوِى إِلَيْهِ وَيَخْرُجُ كَمَا يَشَاءُ وَظَلَّ الْبُلْبُلُ يَشْدُو كُلَّ يَوْمٍ شَدْوَهُ الْمُؤَثِّرَ، وَزَادَ تَعَلُّقاً بِصَاحِبِهِ، فَلَمْ يَكُنْ يُفَارِقُهُ إِلاَّ قَلِيلاً.

وَذَاتَ مَرَّةٍ، بَيْنَمَا كَانَ الْبُلْبُلُ وَاقِفاً عَلَى كَتِفِ الْفَارِسِ، إِذْ حَانَتْ مِنَ الْفَارِسِ الْتِفَاتَةٌ، فَأَبْصَرَ حَوْلَ إِحْدَى سَاقَيِ الْبُلْبُلِ خَيْطاً رَفِيعاً أَسْوَدَ اللَّوْنِ. فَدُهِشَ كَثِيراً لِرُؤْيَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ لَهُ تَعْلِيلاً. ثُمَّ أَخَذَ يَفُكُّ الْخَيْطَ الْأَسْوَدَ الرَّفِيعَ مِنْ حَوْلِ سَاقِ الْبُلْبُلِ. وَمَا كَادَ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى صَاحَ صَيْحَةَ الرُّعْبِ وَالْهَلَعِ. فَقَدِ انْقَلَبَ الْبُلْبُلُ فَجَأَةً وَبِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ إِلَى فَارِسٍ مِثْلِهِ. وَأَقْبَلَ الْفَارِسُ الْجَدِيدُ عَلَى صَاحِبِهِ يُعَانِقُهُ، وَالدُّمُوعُ تَنْهَمِرُ عَلَى خَدَّيْهِ. فَلَقَدْ كَانَ رَفِيقاً

(البقية بصفحة ١٢)